ولاة مصر في عهد العرب

ولاية عمرو بن العاص الثانية

عمرو بن العاص فاتح مصر وأول ولاتها ولولا اختلاف الاحزاب لبقي على ولايتها الى حين وفاته صُرف عنها في زمن الخليفة عثمان ثم اعيد اليها لما انتقلت الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان في ربيع الاول سنة ٣٨ وجعل له الصلاة والخراج جميعاً. قال الكندي «وكانت مصر جُعلت له طعمة بعد عطاه جُندها والنفقة على مصلحتها. وتعاقد بنو مُدلج عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل علي ومعاوية وعمرو وتواعدوا الليلة في شهر رمضان سنة اربعين فمضى كلٌّ منهم الى صاحبه وكان يزيد هو صاحب عمرو. وعرضت لعمرو تلك الليلة علة منعتهُ من حضور المسجد فصلى خارجة (بن حذافة العدوي رئيس الشرط) بالناس فشدَّ عليه يزيد فضربهُ حتى قتلهُ. فدُخل به على عمرو فقال له انا والله ما اردتُ غيرك يا عمرو»

وكل ما ذكرهُ الكندي من الاعمال التي عملها عمرو في مصر انهُ عقد لشريك بن سُمي الغطيفي على غزو نوبة وبلدة. ولعقبة بن نافع على غزو هوارة. والظاهر انها من الامم التي تسكن بنغازي وطرابلس الغرب. وكان عمرو قد سيَّر عبد الله بن ابي سرح سنة ٢٥ الى اطراف افريقية (تونس) غازياً بامر عثمان فحارب واليها جرجير (غريغوري) وكان قد عصى على ملك الروم واستقل بملك افريقية وجعل عاصمتهُ سبيطلة في قلب تونس فتغلب عليه العرب وقتلوهُ وتبعوا فلول عسكره الى بلاد الجزائر. وتوفي عمرو ليلة عيد الفطر سنة ٤٣

عُتبة بن ابي سفيان

هو اخو الخليفة معاوية ولاهُ اخوهُ بعد وفاة عمرو بن العاص فقدم مصر في ذي القعدة سنة ٤٣. ولم يذكر الكندي من اعماله العمومية سوى انهُ عقد لعلقمة بن يزيد الغطيفي على الاسكندرية في اثني عشر الفاً من اهل الديوان يكونون بها رابطة وانهُ بنى دار الامارة في الاسكندرية ثم توفي بها. وعليه فقد كثُر الجند في مصر حتى صار يسهل ان يقيم اثنا عشر الفاً منهم في الاسكندرية مرابطين خوفاً من الروم او من انتقاض اهل الاسكندرية

عقبة بن عامر

ولي مصر من قبل معاوية. ولم يذكر الكندي شيئاً من اعماله مع ان ولايتهُ دامت سنتين وثلاثة اشهر

مسلمة بن مخلَّد

وفد على معاوية فولاهُ مصر وعقبة فيها وامرهُ ان يكتم ذلك عن عقبة وارسل الى عقبة يجعلهُ على البحر وامرهُ ان يسير الى رودس فقدم مسلمة مصر ولم يُعلم بامرتهِ احداً وخرج مع عقبة الى الاسكندرية فلما توجه عقبة سائراً الى رودس استوى مسلمة على سرير إمرتهِ فبلغ ذلك عقبة فقال اخطأنا وغربةً

وذكر الكندي من اعمال مسلمة بن مخلَّد انهُ امر بالزيادة في المسجد الجامع فهدم ما كان عمرو بناهُ في سنة ٥٢ وامر بابتناء منار المساجد كلها وامر المؤذنين ان يكون اذانهم في الليل في وقت واحد فكان مؤذنو المسجد الجامع يؤذنون للفجر فاذا فرغوا من اذانهم اذَّن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد . وانهُ صرف عابس بن سعيد عن الشرطة وولاهُ البحر فغزا اسطاونة والمظنون انها محرَّف القسطنطينية . وتوفي مسلمة بن مخلَّد سنة ٦٢ وكانت ولايتهُ على مصر ١٥ سنة واربعة اشهر

سعيد بن يزيد

وتوفي الخليفة معوية سنة ٦٠ وخلفهُ يزيد ابنهُ فلما توفي مسلمة ولَّى سعيد بن يزيد بدلاً منهُ وهو من اهل فلسطين فلم ترضَ بهِ جماعة من اهل مصر وقالوا لهُ ينفر الله لامير المؤمنين اما كان فينا مئة شاب كلهم مثلك يولي علينا احدهم . قال الكندي ولم يزل اهل مصر على الشنآن لهُ والاعراض عنهُ والتكبُّر عليهِ حتى توفي يزيد بن معاوية سنة اربع وستين ودعا ابن الزبير الى نفسهِ فقامت الخوارج الذين بمصر في امرهِ واظهروا دعوتهُ وكانوا يحسبونهُ على مذهبهم واوفدوا منهم وفداً اليهِ وسألوهُ ان يبعث اليهم بامير يقومون معهُ ويؤازرونهُ فبعث بعبد الرحمن بن جحدم الفهري فقدمها في طائفة من الخوارج

عبد الرحمن بن جحدم

دخلها في شعبان سنة ٦٤ وبايعهُ الناس على غلٍّ في قلوب ناس من شيعة بني اميَّة . وبويع مروان بن الحكم بالشام في ذي القعدة سنة ٦٤ وكانت شيعتهُ من اهل مصر دعوهُ اليها وهم في العلانية مع ابن جحدم وجاء مروان الى مصر وبعث ابنهُ عبد العزيز في جيش الى أيلة (العقبة) ورجا ان يدخل مصر من تلك الجهة . واجمع ابن جحدم على حربهِ فاشار عليهِ الجند بحفر خندق يخندق بهِ على الفسطاط فامر بحفره فحفر في شهر واحد وفي ذلك يقول ابن ابي زمزمة الحشني

وما الجدُّ الأ مثل جد ابن جحدم وما العزم الأ عزمهُ يوم خندق
ثلاثون الفًا هم اثاروا ترابهُ وخدُّوهُ في شهر حديثُ مصدَّقِ

وبعث ابن جحدم بمراكب في البحر يخالف الى عيال اهل الشام وقطع بثًّا في البر استعمل عليهم السائب بن هشام العامري و بعث بجيش آخر عليهم زهير بن قيس البلوي الى ايلة ليمنع عبد العزيز من المسير اليها فاما جيش السائب فان روح بن زنباع اخبر مروان ان السائب لهُ ابن مسترضع بفلسطين فاخذهُ مروان قال التقوا ابرز اليه الصبي فقال اتعرف هذا يا سائب قال هذا ابني قال نعم فوالله لئن لم ترجع عودك على بدئك لارمينَّكَ برأسهِ فرجع السائب بجيشهِ . واما المراكب فنزل عليها عاصف فغرَّقها . واما زهير بن قيس فلقي عبد العزيز بن مروان ببعاق وهي سطح عقبة ايلة فقاتلهُ فانهزم زهير ومن معهُ . وسار مروان حتى نزل عين شمس فخرج ابن جحدم في اهل مصر فحاربوا يومًا او يومين ثم رجعوا الى خندقهم فصفوا عليهِ فكانت تلك الايام تسمَّى ايام الخندق والتراويح لان اهل مصر كانوا يقاتلون نوبًا يخرج هؤلاء ثم يرجعون ثم يخرج غيرهم . واستحرَّ القتل وقُتل كثير من اهل القبائل من اهل مصر وقتل من اهل الشام ايضًا جمع كثير

ثم وقع الصلح بينهم ودخلها مروان لغرة جمادى الاولى سنة ٦٥ فكانت مدة مقام ابن جحدم واليًا عليها تسعة اشهر . ثم قتل مروان ثمانين رجلاً من المعافر دعاهم ليبايعوهُ فابوا وقالوا انَّا قد بايعنا ابن الزبير طائعين فلم نكن لننكث بيعتهُ . فقدَّمهم رجلاً رجلاً فضرب اعناقهم وضرب عنق الاكدر بن همام وكان سيد لخم وشيخها وحضر فتح مصر هو وابوهُ . وتنادى الجند قُتل الاكدر فلم يبقَ احد حتى لبس سلاحهُ فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين الفًا وخشي مروان واغلق بابهُ ولكن جاءهُ كريب بن ابرهة والقى عليهِ رداءهُ وقال للجند انصرفوا انا لهُ جارٌ فانعطف احد منهم وانصرفوا الى منازلهم . قال زياد بن قائد الخمي في ذلك

كما لقيتَ لخمٌ ما ساءها بالاكدرَ لا يبعدنْ الاكدرُ
هو السيف أجرَدَ من غمدهِ فلاق المنايا وما يشعرُ
فلهفي عليك غداة الردى وقد ضاق وردك والمصدرُ
وانت الاسير بلا منعةٍ وما كان شلك يستأسرُ

عبد العزيز بن مروان

وجعل مروان صلاة مصر وخراجها الى ابنهِ عبد العزيز فقال لهُ كيف المقام ببلد ليس بهِ احد من بني ابي فقال لهُ مروان « يا بُنيَّ عمِّهم باحسانك يكونوا كلهم بني ابيك واجعل

وجهك طلقاً تصفُ لك مودتهم وتُوقع الى كل رئيس منهم انهُ خاصتك دون غيرهِ يكن عيناً لك على غيرهِ ويتقد قومهُ اليك . وقد جعلتُ معك اخاك بشراً مؤنساً وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً . وما عليك يا بُنيَّ ان تكون اميراً باقصى الارض أليس ذلك احسن من اغلاق بابك وخمولك في منزلك »

فان كان الخليفة مروان قد قال هذا الكلام كما روي عنهُ فيكون من دهاة رجال السياسة . ثم نقل الكندي ان مروان اوصى ابنهُ حين مغادرتهِ مصر وصايا اخرى افضل من الاولى ومنها قولهُ « اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيتهِ واوصيك ان لا تجعل لداعي الله عليك سبيلاً فان المؤذنين يدعون الى فريضة افترضها الله عليك ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً . اوصيك ان لا تعد الناس موعداً الاَّ انفذتهُ وان حملتَ على الامة واوصيك ان لا تعجل في شيء من الحكم حتى تستثير» . لكن هذه الوصايا قلما تأتلف مع قولهِ اولاً « اوقع الى كل رئيس منهم انهُ خاصتك دون غيرهِ يكن عيناً (اي جاسوساً) لك على غيرهِ» وسواء كانت نسبة هذه الوصايا الى مروان صحيحة او غير صحيحة فهي تدل على آداب العصر الذي كتبت فيهِ

وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة ٦٥ فكان مقامهُ بها من يوم دخلها الى خروجهِ عنها شهرين . ثم توفي في رمضان ويوبع ابنهُ عبد الملك فاقرَّ اخاهُ عبد العزيز على مصر وليها في رجب سنة ٦٥ ووقع الطاعون بمصر في سنة ٧٠ فخرج منها الى الشرقية متبدياً فنزل حلوان فاعجبتهُ فاتخذها وسكنها وجعل بها الحرس والاعوان والشُّرَط وبنى بها الدور والمساجد وغيرها واحكمها وغرس كرمها ونخلها قال ابن قيس الرقيَّات

سقياً لحلوان ذي الكروم وما صفَّف من تينهِ ومن عنبهْ

وواضح من ذلك ان حلوان هذه هي غير بلدة حلوان المعروفة الآن

وفي سنة ٧٢ ارسل بعث البحر الى مكة لقتال ابن الزبير وهم ثلاثة آلاف رجل فيهم عبد الرحمن بن مجنس وهو الذي قتل ابن الزبير . وكان لعبد العزيز الف جفنة (قصعة) كل يوم تنصب حول دارهِ وكانت لهُ مئة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل الى قبائل مصر قال الشاعر

كل يوم كأنهُ يوم اضحى عند عبد العزيز او يوم فطرِ
ولهُ الف جفنة مترعاتٍ كل يوم تمدُّها الف قدرِ

والظاهر ان قبائل العرب الذين نزلوا مصر بقوا الى ذلك العهد وما بعده يعتمدون في رزقهم على ما يعطى لهم من الاعطيات ويقدم لهم من الطعام كما سيجيء

وقدم حسّان بن النعمان الغسّاني من الشام الى مصر بعهد الى المغرب في سنة ٧٨ فسألهُ عبد العزيز ان لا يعرض لطرابلس فابى ذلك فعزلهُ وولّى موسى بن نصير مولى لخم امر المغرب كلهُ فسار موسى ففتح الله عليهِ الفتوح. ووصفهُ بانهُ مولى يدلُّ على انهُ من غير العرب

وتوفي عبد العزيز سنة ٨٦ فحمل في الليل من حلوان الى الفسطاط فدُفن بها وكانت ولايتهُ عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوماً

عبد الله بن عبد الملك بن مروان

ثم وليها عبد الله بن عبد الملك من قبل ابيهِ فدخلها يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٨٦ وهو يومئذٍ ابن سبع وعشرين سنة وقد تقدَّم اليهِ ابوهُ ان يمحي آثار عمهِ عبد العزيز . ثم توفي عبد الملك في شوال تلك السنة وبويع الوليد بن عبد الملك فاقرَّ اخاهُ عبد الله على صلاة مصر وخراجها . وامر عبد الله بالدواوين فنسخت بالعربية وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية وصرف اشناس عن الديوان وجعل عليهِ ابن يربوع الفزاري من اهل حمص اي بقي ولاة العرب في مصر ٦٦ سنة واوراق دواوينهم تكتب بالقبطية ورئيسها قبطي ثم انتقلت منهُ الى رجل شامي

وتعاقبت الولاة بعد ذلك وممَّا حدث في ايامهم وذكرهُ الكندي ان الخليفة يزيد بن عبد الملك كتب الى الوالي حنظلة بن صفوان سنة ١٠٤ يأمر بكسر الاصنام فكسرت كلها ومحيت التماثيل وكسر فيها صنم حمام زبان بن عبد العزيز وليهِ يقول كُرَيب بن مخلد الجيشاني

من كان في نفسهِ لبيض منزلةٌ فليأتِ ابيض في حمام زبّانِ
عينٌ لطيفٌ هضيم الكشح معتدل على ترائبهِ في الصدر ثديانِ

ولعلهُ من تماثيل ايسس او الزهرة وهذا اول خبر دُوِّن عن كسر التماثيل في عهد العرب ومن يدري كم من بدائع الصناعة تلف حينئذٍ

ومنها ان عبيد الله بن الحجاب صاحب خراج مصر كتب الى الخليفة هشام بن عبد الملك ان ارض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطاً فانتقض عامَّة اهل الوجه الشرقي فبعث اليهم الوالي باهل الديوان فحاربهم وقُتل منهم خلق كثير. وذلك اول انتقاض القبط بمصر وسببهُ زيادة الضرائب . وانكشف النيل حينئذٍ فكتب الى هشام بعلهُ ان

النيل انكشف عن ارض ليست لمسلم ولا لمعاهد فان رأى امير المؤمنين ان يأذن بالبناء فيها فان الناس مضطرون اليها فاذن لهُ في بنائها قيسارية

وفي ولاية الوليد بن رفاعة نقل خمسماية اهل بيت من قبائل قيس الى مصر في سنة ١٠٩ وانزلوا بلبيس وامرهم بالزرع ونظر الى الصدقة من العشور فصرفت اليهم فاشتروا اعلاً فكانوا يحملون الطعام الى القلزم وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير (نحو ستة جنيهات) واكثر واقل ثم امرهم الوليد باشتراء الخيول فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث الاَّ شهراً حتى يُركب وليس عليهم مؤونة في اعلاف ابلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم . فلما بلغ ذلك عامَّة قومهم تحمَّل اليهم خمسماية اهل بيت فنزلت هشام وبلبيس الف وخمسماية اهل بيت من قيس ومات مروان وبها ثلاثة آلاف اهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية مَن قدم

ويظهر ممَّا ذكرهُ الكندي في زمن حفص بن الوليد الذي ولي مصر سنة ١٢٤ انهُ كان للمسلمين ارزاق يعطونها كل سنة وهي تكفي الرجل واهل بيته فقد قال «حدثني ابن قديد عن عبد الله بن سعيد عن ابيهِ عن ابن لهيعة انَّ ارزاق المسلمين كانت اثني عشر اردبًّا في كل سنة فنقص اردبين اردبين فصار كل رجل الى عشرة فلما ولي حفص بن الوليد صيرهم الى اثني عشر اثني عشر»

ولا ندري من يعني بالمسلمين هل هم العرب وحدهم الذين قدموا مصر الى ذلك العهد او هم والذين اعتنقوا الاسلام من اهل مصر او لا هؤلاء ولا هؤلاء بل الجند المحارب وان كان هذا هو المراد فلماذا هذا التخصيص فان يحيا النحوي المؤرخ الذي نشأ بعد الفتح بسنين قليلة كان يسمي العرب الذين فتحوا مصر بالاسمعيلية او الاسمعيليين

وقدم عيسى بن ابي عطاء على ارض مصر وخراجها يوم الثلاثاء لتسع بقين من شوَّال سنة خمس وعشرين ومئة وصرف حفص عن الخراج وانفرد بالصلاة . وقد وجد قرطاس قديم من عهد عيسى هذا وهو الآن في مكتبة ريلندس بمدينة منشستر يقال فيهِ من عيسى ابن ابي عطاء الى صاحب بريد اشمون . فاحمل مسلم رسولي على دابتين من البريد احداهما دابة الفرائق وكتبهُ محمد في شهر ربيع الآخر سنة عشرين ومئة